

التفاعل الرمزي-الاجتماعي-نظرية-فلسفية-مهيمنة-لكن-ناقصة



تهدف معظم النظريات الاجتماعية إلى فهم تركيب المجتمع وعلاقاته والسلوك الفردي والاجتماعي، ومنها نظرية التفاعل الرمزي، التي تركز على تفاصيل ورموز الحياة اليومية وماذا تعنيه

يعتقد بعض علماء الاجتماع أن جذور هذه النظرية تعود إلى الفيلسوف الألماني ماكس فيبر (1864-1920م)، الذي يعتقد أن الأفراد يتصرفون بناء على تفسيرهم الخاص لما يعنيه العالم من حولهم. كما يعد عالم الاجتماع الأمريكي جورج ميد (1863-1931م) أول من أدخل هذه النظرية إلى علم الاجتماع في عشرينيات القرن العشرين

الرموز هنا تعني مجموعة الوسائل التي يستعملها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل. وهي تشمل الإشارات والعلامات والأدوات والحركات والأصوات والانطباعات والصور الذهنية التي يصنعونها، وأهمها اللغة

ووفقاً لهذه النظرية، يعلق الناس معاني على هذه الرموز، ثم يتصرفون بناء على تفسيرهم الشخصي لها. ويظهر ذلك جلياً في المحادثات الشفهية

فالكلمات المحكية لها معنى معين بالنسبة للمتكلم. وخلال المكالمة الضعيفة، يؤمل أن يكون لها المعنى نفسه للمخاطب. ولكن هذا الوضع المثالي غير موجود في الحياة اليومية الواقعية، عل الرغم من أن الكلمة كرمز ترافقها مجموعة من الرموز الأخرى المساعدة من حركات وإشارات ونبرات خاصة، لتأكيد المعنى الذي يقصده المتكلم. هذا التفاوت في فعالية المكالمة أو الاتصال، تجعل من الكلمات أشياء غير ثابتة؛ إنها تحتاج إلى قصد وتفسير

كذلك في التواصل الكتابي، يعد الترقيم من الرموز المهمة في البلاغة؛ فعلامات الاستفهام والتعجب والحذف تعبر عن النبرات الصوتية للكاتب؛ وإن لم نستعملها، تضيع معاني الكلمات وتشتت. ولكن هل كل من يكتب يعلق نفس المعاني على تلك الرموز؟ هل الكاتب المتخصص في اللغة يعلق المعنى نفسه لكاتب من الهواة؟

الواقع هو أن معنى النص يصبح مفتوحاً ومتعددًا بتعدد القراء في عملية ديناميكية متغيرة ومتفاعلة، بين الكاتب وكل قارئ أو بين القراء، تفسر العالم من حولهم بأشكال متغيرة باستمرار

وبموجب هذه النظرية، فإن المجتمع وعلاقاته وتركيبه، هي نتيجة التفاعل الديناميكي المستمر لهذه الرموز ومعانيها

ولكن نقادا كثيرا اعتبروا أن هذه النظرية، وعلى الرغم من هيمنتها على باقي النظريات في علم الاجتماع، تهمل التفسير الكلي أو الصورة الكبيرة للمجتمع. ويتهمون أصحابها أنهم يرون الشجرة ويتجاهلون الغابة؛ وأنهم يتجاهلون تأثير القوى والمؤسسات الاجتماعية على التفاعلات الفردية.